

من الآثار القبيحة للمعاصي (٢٠)

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه أما بعد،،

في قلوبهم مرض مزادهم الله مرضاً:

..ولا تحسب أن قوله تعالى: " إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ، وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ " [سورة الانفطار: ١٣ - ١٤] مقصوراً على نعيم الآخرة وجحيمها فقط بل في دورهم الثلاثة كذلك - أعني دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار - فهؤلاء في نعيم، وهؤلاء في جحيم، وهل النعيم إلا نعيم القلب؟ وهل العذاب إلا عذاب القلب؟ وأي عذاب أشد من الخوف والهم والحزن، وضيق الصدر، وإعراضه عن الله والدار الآخرة وتعلقه بغير الله، وانقطاعه عن الله، بكل واد منه شعبة، وكل شيء تعلق به وأحبه من دون الله فإنه يسومه سوء العذاب، فكل من أحب شيئاً غير الله عذب به ثلاث مرات في هذه الدار، فهو يعذب به قبل حصوله حتى يحصل، فإذا حصل عذب به حال حصوله من سلبه وفواته، والتغيب والتكيد عليه وأنواع المعارضات، فإذا سلبه اشتد عذابه عليه، فهذه ثلاثة أنواع من العذاب في هذه الدار.

وعذاب البرزخ أشد:

وأما في البرزخ: فعذاب يقارنه ألم الفراق الذي لا يرجى عوده، وألم فوات ما فاته من النعيم العظيم باشتغاله بضده، وألم الحجاب عن الله، وألم الحسرة التي تقطع الأكباد، فالهم والغم والحسرة والحزن تعمل في نفوسهم مثل ما تعمل الهوام والديدان في أبدانهم، بل عملها في النفوس دائم مستمر، حتى يردّها الله إلى أجسادها، فحينئذ ينتقل العذاب إلى نوع هو أدهى وأمر.

قارن ذلك مع النعم:

فأين هذا من نعيم من يرقص قلبه طرباً وفرحاً وأنساً بربه واشتياقاً إليه وارتياحاً بحبه وطمأنينة بذكره؟ حتى يقول بعضهم في حال نزعه: واطرباه، ويقول الآخر: إن كان أهل الجنة في مثل هذا الحال إنهم لفي عيش طيب، ويقول آخر: مساكين أهل الدنيا خرجوا وما ذاقوا لذيق العيش فيها، وما ذاقوا أطيّب ما فيها، ويقول الآخر: لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف، ويقول الآخر: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل الجنة الآخرة.

(يتبع بالعدد القادم.. العقد بين يديك)

من كتاب الجواب الكافي